متن الحكم

للشيخ أحمد ابن عطاء الله السكندري

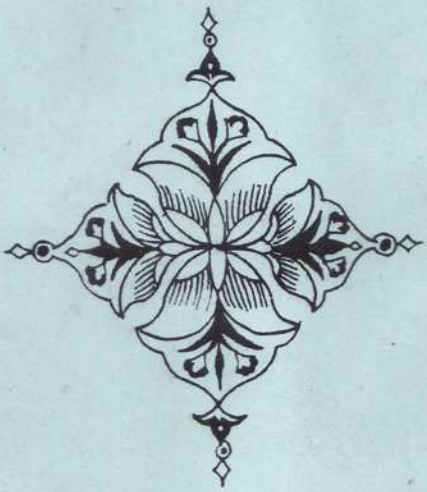

يطلب من المعهد الإسلامي السلفي
ليربيا - قديري

حقوق الرسم وطبعه محفوظة للناشر

متن الحكم

للشيخ أحمد ابن عطاء الله السكندري

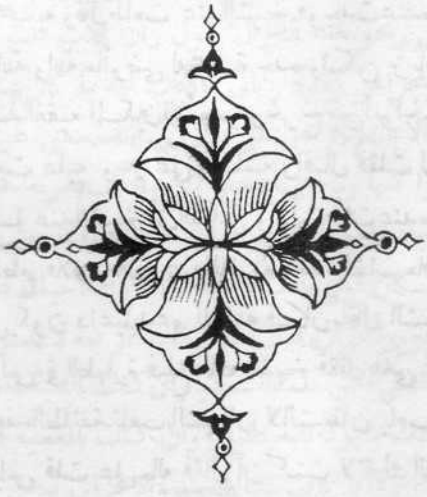

يطلب من المعهد الإسلامي السنوسي
ليربيا - قديري

حقوق الرسم وطبعه محفوظة للناشر

من مناقب المؤلف رضي الله عنه

قال المؤلف في لطائف المنن : أريد لو نظر الى الشيخ برعايته وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضي الله عنه لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده ثم قال أي شيء تريد أن تكون والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا وكذا والله ليكونن لك كذا وكذا لم أثبت منه الا قوله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه ما لا أنكره قال فأخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله في الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف وقال دخلت عليه فقال اذا عوفي في الفقيه ناصر الدين نجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم ان شاء الله تعالى في العلمين فكان مما أخبر به رضي الله عنه قال وسمعته يقول أريد أن استنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال ما هذا قلت كتاب التهذيب استنسختهلكم فأخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك الولي لا يتفضل عليه أحد تجد هذا ان شاء الله في ميزانك فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه عند نزولي من عنده فقال قال الشيخ عنك والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدي به في علم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة جراء فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما أرضى له بمجلسة جده ولكن بزيادة التصوف قال وأخبرني بعض قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الأسمر وخرج معي أبو الحسن الجوهري وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة وإقبال فقلت له من أين تعرفني فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ أبي العباس وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ يا أبا الحسن ان يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله تعالى قال وكنت كثيرا ما يطرأ علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني أن بك وسواسا في الوضوء قلت نعم فقال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت أياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة لا تعد تأتينا فشق ذلك علي وقطع الله ذلك الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن للوسواس سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة أمدحه بها فقال حين أنشدت أبدك الله بروح القدس قال ثم عملت قصيدة أخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد اخيم فلما قرئت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرض ان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين يشير الشيخ الى مرض الوسواس قال فلقد انقطع عني ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التي أجدها قد تساهلت في بعض الأمر والمرض الآخر كان بي ألم برأسي فشكوت ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله تعالى وشفاني (قال) وبت ليلة من

الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما أنا فيه فقال اسكت والله لا علمنك علما عظيما قال فلما انتبهت جئت الى الشيخ رضي الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا تكون ان شاء الله تعالى قال وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فاسلمت عليه قال لي يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وبهائه بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق وأني مراد بهم لقوله وبهائه بين خلقه قال وكنت أنا لا مره من المنكرين وعليه من المعترضين لا الشيء سمعته منه ولا الشيء صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض أصحابه وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا فقلت لا قال دخلت عليه فأول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر الشرع من الذي كان ينقله عنه ممن يقصد الأذى قال وكان سبب اجتماعي معه أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه قال فأتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي أمر الشارع بها فقال الأول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الأول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق ونحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت الى أن بهرني عقلي وعلمت أن الرجل انما يغرف من فيض بحر الهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي ثم أتيت تلك الليلة الى المنزل فلم أجد شيئا مما يقبل الاجتماع بالأهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا أدري ما هو فانفردت في مكان أنظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك الى العود اليه مرة أخرى فأتيت فاستأذنت لي فلما دخلت عليه قام وتلقاني يمشي نحوي اقبالا حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك فكان أول ما قلت له يا سيدي أنا والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتني ثم شكوت اليه ما أجده من هموم وأحزان فقال أحوال العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكأنما كانت تلك الهموم والاحزان نوبا نزعته قال ثم سألني بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت أفتش على الهم فلا أجده فقال

ليلي بوجهك مشرق * وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلا * م ونحن في ضوء النهار

الزم فوالله ان لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن اه ما نقلته من لطائف المنن وانما أوردت ذلك هنا على طوله ليعرف به قدر المؤلف وليدفع بواضح برهانه طعن الطاعن ونعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة من الله تعالى علينا وموالاة منحه وعطاياه لدينا فقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام المحقق أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى : من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل . إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية . سوابق الهمم لاتخرق أسوار الأقدار . أرح نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك . اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك . لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك ، لا فيما تختاره لنفسك ، وفى الوقت الذى يريد ، لا فى الوقت الذى تريد . لا يشككنك فى الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه ، لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك . إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك ، فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك ، والأعمال أنت مهديها إليه ، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك . تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال . الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها . ادفن وجودك فى أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه . ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة . كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته . أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته ، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ولم يتطهر من جنابة غفلاته ، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته . الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أوعنده أو قبله أو بعده فقد

أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار . مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه . كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر فى كل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب إليك من كل شئ ، كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ . يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم ، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم. ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه . إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس . لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج . ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك . ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها " إنما نحن فتنة فلا تكفر" . طلبك منه اتهام له ، وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه ، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه . ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه . لا تترقب فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه . لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت فى هذه الدار ، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها . ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك . من علامات النجح فى النهايات الرجوع إلى الله تعالى فى البدايات. من أشرقت بدايته أشرقت نهايته . ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر. شتان بين من

يستدل به أو يستدل عليه . المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه . " لينفق ذو سعة من سعته " : الواصلون إليه ، "ومن قدر عليه رزقه (فلينفق مما ءاتاه الله) " : السائرون إليه . اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه ، والواصلون لهم أنوار المواجهة. فالأولون للأنوار ، وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لا لشئ دونه : " قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون" . تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب . الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشئ فهو له قاهر (وذلك لايصح في حقه تعالى) "وهو القاهر فوق عباده". اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك ، لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا . أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها . ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه . فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لايرضى عن نفسه . شعاع البصيرة يشهدك قربه منك ، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده ، وحق البصيرة يشهدك وجوده لاعدمك ولاوجودك. كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان . لا تتعد نية همتك إلى غيره ، فالكريم لا تتخطاه الآمال . لا ترفعن إلى غيره حاجة (أي فاقة ونازلة) هو موردها عليك ، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا ، من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا . إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك . فهل عودك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا مننا . العجب كل العجب ممن يهرب

ممن لاانفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . لاترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل منه . ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون "وأن إلى ربك المنتهى". وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه . فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم ؛ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله . ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك . ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب . حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال ، وحسن الأحوال من التحقق فى مقامات الإنزال . لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة . ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور . "وما ذلك على الله بعزيز" . من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات . لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ، فإن من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه . لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله . لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده . إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا . أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار . أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك . الأنوار مطايا القلوب والأسرار . النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس . فإذا

أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار . النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الإقبال والإدبار . لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك :" قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون " . قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم . أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها . وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها . ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع . ما قادك شيء مثل الوهم . أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع . من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان . من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها . خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " . من جهل المريد أن يسئ الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر . ولو لم يكن إلا منع المزيد (لكان ذلك كافيا فى قطع الإمداد) وقد يقام مقام البعد وهو لايدرى . ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد (لكان ذلككافيا فى البعد) . إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولابهجة المحبين. فلولا وارد ما كان ورد . قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته : " كلا نمد هؤلآء وهؤلآء من عطاء ربك وما كان عطآء ربك محظورا " . قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد . من رأيته مجيبا عن كلِّ ما سُئل ومعبِّرا عن كلِّ ما شهد وذاكرا كلَّ ما علم فاستدلَّ بذلك على وجود جهله . إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم فى دارلا

بقاء لها . من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا . إذ أراد أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك . متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة . خير ما تطلبه ما هو طالبه منك . الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار . ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته ، بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده (أي لفنائه عن وجود نفسه وانطوائه عن شهود نفسه) . الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية . مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية . بسطك كي لا يبقيك مع القبض ، وقبضك كي لا يتركك مع البسط ، وأخرجك عنهما كي لا تكون لشئ دونه . العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا . ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل . البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لا حظ للنفس فيه . ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك. متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء . الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها ، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها . إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى . الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك . العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان . جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة، كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا ، كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته ، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته . من عبده لشئ يرجوه منه أوليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه . متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك ، إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه . ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول . وربما قضى

ينظر ماذا يفعل الله به . إنما يستوحش العبّاد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله في كل شئ ، فلو شهدوه في كل شئ لم يستوحشوا من شئ . أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته . علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه . لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات ، وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كل مصل مقيم . الصلاة طهوة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب . الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة ، تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار . علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها . متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ، ويكفي المريب وجدان السلامة . لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا . يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا . إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك. لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك . كن بأوصاف ربوبيته متعلقا ، وبأوصاف عبوديتك متحققا . منعك أن تدعى ما ليس لك مما للمخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين . كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد . ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب . ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار . لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته ، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه . لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول . أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته . الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها . فالعامة يطلبون من الله الستر فيها خشية سقوط

مرتبتهم عند الخلق ، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق . من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره . فالحمد لمن ستره . ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك . ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم ، وليس ذلك إلا مولاك الكريم . خير من تصحب من يطلبك لا لشئ يعود منك إليه . لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها . ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، إذ لا شئ معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه . لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود الإبصار . لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته . أظهر كل شئ لأنه الباطن ، وطوى وجود كل شئ لأنه الظاهر . أباح لك أن تنظر ما في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات ." قل انظروا ماذا في السموات" فتح لك باب الإفهام ، ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته . الناس يمدحونك لما يظنونه فيك ، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها . المؤمن إذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس . إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله . الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق ، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق . متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك . إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك. إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك ، وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه . ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط " لاتدرون أيهم أقرب لكم

عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول . معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا . نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما : نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد . أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالى الإمداد . فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفى عليك منها ، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض. خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذلتك . متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به . متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك. العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غيرا لله قراره . أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر و لم تأفل أنوار القلوب والسرائر ، ولذلك قيل :

إن شمس النهار تغرب بالليـ*ـل وشمس القلوب ليست تغيب

ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك . فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار * من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره . لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك . سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى إظهار العبودية . لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك . متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره ، فقد أعظم المنة عليك . ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه . لا يستحقر الورد إلا جهول . الوارد يوجد فى الدار الآخرة ، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ، وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده . الورد هو طالبه منك ، والوارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه . ورود الإمداد بحسب الاستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار . الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل ، والعاقل

نفعا ". مطالع الأنوار القلوب والأسرار . نور مستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب . نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه ، ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار . ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار . سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه. ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد . من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال إليه . حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى ، وحظها فى الطاعة باطن خفى ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه . ربما دخل الرياء عليك من حيث لاينظر الخلق إليك . استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك . غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك ، وغيب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك . من عرف الحق شهده فى كل شئ ، ومن فنى به غاب عن كل شئ . ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا . إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك . وإنما احتجب لشدة ظهوره ، وخفى عن الأبصار لعظم نوره . لايكن طلبك تسببا للعطاء منه فيقل فهمك عنه ، وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية . كيف يكون طلبك اللاحق سببا لعطائه السابق ، جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل . عنايته فيك لا لشئ منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته . لم يكن فى أزله إخلاص أعمال ولاوجود أحوال . بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال . علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية ، فقال " يختص برحمته من يشآء " . وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الأزل ، فقال " إن رحمة الله قريب من المحسنين" . إلى المشيئة يستند كل شئ ، وليست

تستند هي إلى شئ . ربما دهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته . إنما يذكر من يجوّز عليه الإغفال ، وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال . وورود الفاقات أعياد المريدين (العيد الوقت الذى يعود على الناس بالمسرة والسرور) . ربما وجدت من المزيد فى الفاقات مالاتجده فى الصوم والصلاة . الفاقات بسط المواهب . إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك ، إنما الصدقات للفقراء . تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذلك يمدك بعزه ، تحقق بعجزك يمدك بقدرته ، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته . ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة . من علامات إقامة الحق لك فى الشئ إدامته إياك فيه مع حصول النتائج . من عبر من بساط إحسانه أصمته الإساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء . تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ، فحيث صار التنوير وصل التعبير . كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز . من أذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته . ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار . عبارتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد . فالأول حال السالكين والثانى حال أرباب المكنة والمحققين . العبارات قوت لعائلة المستمعين، وليس لك إلا ما أنت له آكل . ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ، وربما عبر عنه من وصل إليه ، وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة . لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته ، فإن ذلك يقل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه . لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك . فإذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم . ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه لاكتفائه بمشيئته ، فكيف لا يستحى أن يرفعها إلى خليقته . إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه ، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا . من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى

نوافل الخيرات ، والتكاسل عن القيام بالواجبات . قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ، ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار . علم قلةً نهوض العباد إلى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته ، فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب . عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل . أوجب عليك وجود خدمته ، وما أوجب عليك إلا دخول جنته . من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية " وكان الله على كل شئ مقتدرا ". ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما مَنَّ به عليك . من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها . لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك ، فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك . تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال . لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق . كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك . العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه . أنوار أذن لها في الوصول (إلى ظاهر القلب) وأنوار أذن لها في الدخول (إلى صميم القلب) . ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت . فرغ قلبك من الأغيار يملؤه بالمعارف والأسرار . لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال . حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه . ما فات من عمرك لا عوض له ، وما حصل لك منه لا قيمة له . ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون عبدا لغيره . لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك ، وإنما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك . لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر عنه . وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به ، وإلا فجل ربنا أن

يتصل به شئ أو يتصل هو بشئ . قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه ، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه ؟ الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان "فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه". متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك " إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها " . الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شئ إلا دمغه : " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق " . كيف يحتجب الحق بشئ ، والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر . لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور ، فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا . لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة الإمطار ، وإنما المراد منها وجود الإثمار. لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها ، فلك في الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ . تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له . واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به . النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه ، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب . وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم . ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلإجل ما منعت من وجود العيان . من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك . ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه . إن أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك . إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات . إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن . إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا للأكدار تزهيدا لك فيها . علم أنك لا تقبل النصح المجرد فنوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها . العلم النافع الذى ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه . خير العلم ما كانت الخشية معه . العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك ؟ متى أملك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك

فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم ، إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا إليهم . أراد أن يزعجك عن كل شئ حتى لايشغلك عنه شئ . إذا علمت أن الشيطان لايغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده . جعله لك عدوا ليحوشك به إليه ، وحرك عليك النفس ليدوم إقبالك عليه . من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا إذ ليس التواضع إلا عن رفعة . فمتى أثبت لنفسك رفعة فأنت المتكبر ، ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع . التواضع الحقيقى هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفاته . لايخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف . المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا ، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا . ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا أو يطلب منه غرضا ، فإن المحب من يبذل لك ، ليس المحب من تبذل له . لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ، إذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك . جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته . إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك . الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته . أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون ، فإذا شهدته كانت الأكوان معك . لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية . إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت فى الأفق وليست منه . تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك ، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك (كالعجز والضعف) ، فالنهار ليس منك إليك ولكنه وارد عليك . دل بوجود آثاره على وجود أسمائه

وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبثبوت أوصافه على وجود ذاته ، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه . فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره . فالسالكون على عكس هذا ، فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين (فإن مراد السالكين شهود الأشياء لله ومراد المجذوبون شهود الأشياء بالله ، والسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبين مسلوك بهم طريق البقاء والصحو) لكن لا بمعنى واحد : فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه . لا يُعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت ، كمالا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك . وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا . كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ، أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك . قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لاأذكار ولاأنوار نعوذ بالله من ذلك . ذاكر ذكر ليستنير قلبه فكان ذاكرا ، وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا ، والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدى وبنوره يقتدى . ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر . أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بإلهيته الظواهر ، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر . أكرمك ثلاث كرامات : جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكورا به (فيقال هذا عبدُ الله ووليُّه) إذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكورا عنده (لحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملئه) فتمم نعمته عليك . رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده . من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من من الله تعالى مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة . الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من

الشواغل ثم لا تتوجه إليه ، وتقبل عوائقك ثم لا ترحل إليه . الفكرة سير القلب فى ميادين الأغيار . الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له . الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان ، فالأولى لأرباب الاعتبار والثانية لأرباب الشهود والاستبصار . ومما كتب به إلى بعض إخوانه : أما بعد فإن البدايات مجلات النهايات ، وإن من كانت بدايته كانت إليه نهايته . والمشتغل به هو الذى أحبته وسارعت إليه ، والمشتغل عنه هو المؤثر عليه . وإن من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب إليه ، ومن علم أن الأمور بيد الله اجمع بالتوكل عليه ، وأنه لابد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه . فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى . قد أشرق نوره وظهرت تباشيره فصرف عن هذه الدار مغضيا وأعرض عنها مواليا ، فلم يتخذها وطنا ولاجعلها سكنا بل أنهض الهمة فيها إلى الله وسار فيها مستعينا به فى التقدوم عليه ، فما زالت مطية عزمه لايقر قرارها دائما تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة ، فصارت الحضرة معشش قلوبهم ، إليها يأوون وفيها يسكنون . فإذا نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ فى اليقين ، فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة ، بل دخلوا فى ذلك بالله و لله ومن الله وإلى الله . "وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق" ، ليكون نظرى إلى حولك وقوتك إذا أدخلتنى ، واستسلامى وانقيادى إليك إذا أخرجتنى ، "واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا" ينصرنى وينصر بى ولاينصر على ، ينصرنى على شهود نفسى ويفنينى عن دائرة حسى . ومما كتب به إلى بعضهم : إن كانت عين القلب تنظر إلى أن الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى أنه لابد من شكر خليقته . وأن الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك

فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الإحسان من المخلوقين و لم يشهده من رب العالمين ؛ إما اعتقادا ، فشركه جلى ، وإما استنادا فشركه خفى . وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب ، فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها ، غير أنه غريق الأنوار ومطموس الآثار ، قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناءه على بقاءه وغيبته على حضوره . وأكمل منه عبد شرب (من المدد الإلهى) فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه ، يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه . وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : والله لا أشكر إلا الله ، دلها أبو بكر على المقام الأكمال مقام البقاء المقتضى لإثبات الآثار . وقد قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك . وقال صلوات الله وسلامه عليه : لا يشكر الله من لا يشكر الناس . وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم تشهد إلا الواحد القهار . وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه : وجعلت قرة عينى فى الصلاة ، هل ذلك خاص به أم لغيره منه شرب ونصيب ؟ فأجاب : إن قرة العين بالشهود (جلال الحق وجماله) على قدر المعرفة بالمشهود ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة غيره كمعرفته فليس قرة عين كقرة عينه . وإنما قلنا إنما قرة عينه فى صلاته بشهوده جلال مشهوده ، لأنه قد أشار إلى ذلك بقوله فى الصلاة و لم يقل بالصلاة إذ هو صلوات الله وسلامه عليه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام ويأمر به من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم : اعبد الله كأنك تراه .

ومحال أن يراه ويشهد معه سواه . فإن قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من عين منة الله ، فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها ، وقد قال سبحانه : " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا " . فاعلم أن الآية قد أومأت إلى الجواب لمن تدبر سر الخطاب إذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالإحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال في الآية الأخرى " قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " . الناس في ورود المنن على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها ، فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى "حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة " ، وفرح بالمنن من حيث إنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها ، يصدق عليه قوله تعالى " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون " ، وفرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر إلى الله عما سواه والجمع عليه فلا يشهد إلا إياه ، يصدق عليه قوله تعالى " قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " .

(١٢) * وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين : " بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا " ، والله تعالى يجعل فرحنا وإياكم به والرضا منه وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه وأن لا يجعلنا من الغافلين وأن يسلك بنا مسلك المتقين بمنه وكرمه .

وقال رضي الله عنه في مناجاته : إلهي أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرا في فقري . إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي . إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء . إلهي منى بما يليق بلؤمي ومنك بما يليق بكرمك . إلهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي

أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى . إلهى إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوى منى فبعدلك ولك الحجة على . إلهى كيف تكلنى إلى نفسى وقد توكلت لى ، وكيف أضام وأنت الناصر لى ، أم كيف أخيب وأنت الحفى بى ، ها أنا أتوسل أليك بفقرى إليك ، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ، أم كيف أشكو إليك حالى وهى لا تخفى عليك ، أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز إليك ، أم كيف تخيب أمالى وهى قدوفدت إليك ، أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك . إلهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى وما أرحمك بى مع قبيح فعلى . إلهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك . إلهى ما أرأفك بى فما الذى يحجبنى عنك . إلهى قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك منى أن تتعرف إلى فى كل شئ حتى لا أجهلك فى شئ . إلهى كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك ، وكلما آيستنى أوصافى أطمعتنى منتك . إلهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لا تكون مساويه مساوى ، ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى . إلهى حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذى مقال مقالا ولا لذى حال حالا . إلهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك ، إلهى أنت تعلم وإن لم تدم الطاعة منى فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما ، إلهى كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر . إلهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك . إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك . متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك . إلهى عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا . إلهى أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعنى إليها

بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شئ قدير . إلهى هذا ذلى ظاهر بين يديك وهذا حالى لا يخفى عليك ، منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك ، فاهدنى بنورك إليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك ، إلهى علمنى من علمك المخزون وصنى بسراسمك المصون . إلهى حققنى بحقائق أهل القرب واسلك بى مسالك أهل الجذب . إلهى أغننى بتدبيرك عن تدبيرى وباختيارك لى عن اختيارى وأوقفنى على مراكز اضطرارى ، إلهى أخرجنى من ذل نفسى وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رمسى . بك أستنصر فانصرنى وعليك أتوكل فلا تكلنى وإياك أسأل فلا تخيبنى وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى وببابك أقف فلا تطردنى . إلهى تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى ، أنت الغنى بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى ، إلهى إن القضاء والقدر غلبنى وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتنصر بى ، وأغننى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبى . أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك . وأنت الذى أزلت الأغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا إلى غيرك ، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ، وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم . ماذا وجد من فقدك وما الذى فقد من وجدك ، لقد خاب من رضى دونك بدلا ، ولقد خسر من بغى عنك متحولا . إلهى كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان ، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان . يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته ، فقاموا بين يديه متملقين ، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين . أنت الذاكر من قبل الذاكرين ، وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين ،

وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين ، وأنت الوهاب ، ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين . إلهى اطلبنى برحمتك حتى أصل إليك واجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك . إلهى إن رجائ لاينقطع عنك وإن عصيتك كما أن خوفى لا يزايلنى وإن أطعتك . إلهى قد دفعتنى العوالم إليك ، وقد أوقفنى علمى بكرمك عليك . إلهى كيف أخيب وأنت أملى ، أم كيف أهان وعليك متكلى ، إلهى كيف أستعز وأنت فى الذلة أركزتنى ، أم كيف لا أستعز وإليك نسبتنى ، أم كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر أقمتنى ، أم كيف أفتقر وأنت الذى بجودك أغنيتنى . أنت الذى لا إله غيرك تعرفت لكل شئ فما جهلك شئ ، وأنت الذى تعرفت إلى فى كل شئ فرأيتك ظاهرا فى كل شئ فأنت الظاهر لكل شئ. يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته ، كما صارت العوالم غيبا فى عرشه . محقت الآثار بالآثار ، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار . يا من احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار . يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار . كيف تخفى وأنت الظاهر ، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر . وا لله الموفق وبه أستعين .

وصلى ا لله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

كملت الحكم للشيخ العارف علامة زمانه والمبرز فى حلية المعارف على أقرانه سيدنا ومولانا تاج الدين أبى الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء ا لله الاسكندرى الشاذلى قدس ا لله روحه ونور ضريحه .

هذه النسخة بتقطيع يد الضعيف الفقير إلى رحمة ربه الغنى مفتوح بن بسط البرسنة ١٤٢٣ هـ ، نفعه المولى ونور قلبه بنوره وأدام عزه بعزه ورزقه فوزا عظيما فى الدارين